ذاكرة حية
العدد 1 و2 مارس 2010

الحوار الكامل الذي أجرته مجلة «ذاكرة حية» مع السيد أحمد احرزني، رئيس المجلس الاستشاري لحقوق الإنسان

المبتغى هو أن يتحرر المرء من رهبة القمع والاعتقال وما شابها من تعسفات وقعت في مرحلة معينة وأدت إلى نوع من شلل وتكلس الذاكرة

استقبلنا السيد أحمد احرزني بالمقر المركزي للمجلس الاستشاري لحقوق الإنسان. أعجب بفكرة المجلة التي من شأنها أن تساهم في حفظ الذاكرة. تمحورت أسئلتنا حول خصوصيات برنامج جبر الضرر الجماعي وتقييمه الخاص لمسلسل حفظ الذاكرة وكذا دينامية المجتمع المدني المشارك في هذا المسلسل. كانت مواقف رئيس المجلس الاستشاري صريحة كعادته. لقد أكد من جديد على الضرورة الملحة لتحرير الذاكرة وحفظها حتى تساهم في طي صفحة الماضي، وأشار «بدون مجاملة»، كما يقول، إلى أهمية مشروع «ذاكرة حية» التي انخرطت، عبر التوثيق وإعادة كتابة خروقات الماضي، في حفظ الذاكرة الجماعية.

ما هي في نظركم خصوصيات برنامج جبر الضرر الجماعي داخل توصيات هيئة الإنصاف والمصالحة؟

أعتقد أن برنامج جبر الضرر الجماعي يمثل ركنا أساسيا ومهما فيما يمكن أن يصطلح عليه ب»السلة الأمثل للمصالحة»، وذلك لأنه، سواء في التجربة المغربية أو خارجها، تبين منذ وقت مبكر أن المصالحة لا يمكن أن تعتمد على تعويض الأفراد فقط. فالوقائع تثبت أنه ليس الأفراد وحدهم من تضرروا، ولكن تضررت جماعات. والأمثلة كبيرة سواء في بلادنا أو خارجها. وبالتالي فلا يمكن لأي مسلسل مصالحة أن يتجاهل مسألة جبر الأضرار الجماعية. وأظن أنه من هنا تأتي أهمية التوصيات المتعلقة بجبر الضرر الجماعي في برنامج هيئة الإنصاف والمصالحة.

طبعا الهيئة نفسها لم يكن بالإمكان خلال مدة ولايتها أن تبدأ في تنفيذ المشروع، لكن وكما يعلم القراء، لقد شرعنا في أجرأة هذه التوصية بعدما عقدنا اتفاقيات مع الاتحاد الأوربي وشركاء وطنيين. وهناك مجموعة من المناطق التي استفادت من هذه الأجرأة. ويمكن القول أنه ظهر جليا الأثر الإيجابي لها في أحداث كثيرة. فأذكر على سبيل المثال زيارة فتيات إيميلشيل للمجلس ولأماكن أخرى، والمخيمات التي نظمها المجلس خلال الصيف الماضي، والحفل الذي أقيم بمقر المجلس بمناسبة تسليم التعويضات لمجموعة تاكونيت... وكلها أشياء تؤكد صوابية تبني هيئة الإنصاف والمصالحة لفكرة جبر الأضرار الجماعية.

ما هو تقييمكم الخاص لمسار حفظ الذاكرة الجماعية؟

مشروع حفظ الذاكرة، بدوره يوجد في قلب مفهوم جبر الضرر الجماعي لأنه إلى جانب الأضرار المادية التي لحقت المعتقلين السابقين، هناك أضرار معنوية ربما تفوق ما هو مادي، ومنها الرهبة التي لحقت الجماعات المعنية وجعلتها تتذكر ما مضى وكأنه كوابيس... ولعل بعض الجماعات المعنية كانت تخشى حتى من ذكر ما وقع. هذه أمور تترك الفرد أو الجماعة في حالة صدمة وتؤدي إلى أضرار يمكن أن تكون أخطر من الأضرار التي تصيب الفرد. وهي قد تؤدي إلى شلل في القدرة على الفعل والمبادرة. وبالتالي فإن إتاحة الفرصة وخلق الأجواء المواتية للتذكر والحديث عما مضى فيه علاج للنفوس. إن الشق المتعلق بحفظ الذاكرة لا يقل أهمية عن الجوانب المادية من مشاريع جبر الأضرار الجماعية، وربما يفوقها من حيث الأهمية لأن من شأنه تحقيق استرجاع المبادرة والخروج من دور الضحية المرهوبة والعاجزة عن الفعل. فالفرد عندما يمر من محنة صعبة يكون، كما هو معروف في علم النفس، في حالة «عصابية»، والعصاب الجماعي موجود، وعلاجه الوحيد هو استرجاع الذاكرة والحرية في الحديث عن الماضي مع الإلحاح على أن الغرض هو إخراج الجماعة المعنية أو الفرد المعني من حالة العصاب إلى الفعل والمبادرة من جديد. إذن فحفظ الذاكرة مسألة مهمة.

ذاكرة حية

العدد 1 و2 مارس 2010

الغرض هو أن تتحرر الطاقات الإبداعية وأن يقع تجاوز لحظة الصدمة.

كيف يمكن حفظ الذاكرة من خلال الأماكن والمعتقلات التي شهدت خروقات حقوق الإنسان في الماضي القريب؟

أظن أن الحفاظ على تلك البنايات هو في حد ذاته مسألة مهمة. فلو تصورنا مثلا أنها هدمت، هذا سيكون فيه خسارة للذاكرة وللقدرة على التذكر. فالحفاظ على البنايات يساهم في تفعيل القدرة على التذكر الإيجابي وتجاوز ما مضى. فعندما دخلنا إلى قصبة آكدز مثلا ونظرنا إلى الأماكن التي كانت تستعمل كزنازن، فإن المرء يعي بأنه لم يعد بداخلها. وهذا الأمر فيه علاج كبير للنفوس، ويمكنك هنا أن تسأل الإخوان الذين كانوا في تلك المعتقلات وعادوا إليها، فربما سيقولون لك أنهم لم يعوا بأنهم خارجها فعلا إلا في تلك اللحظة.

كما أعتقد أن هذه البنايات يجب أن ترمم وتخصص بداخلها أماكن لتأبيد الذاكرة. ويمكن أن تعرض فيها صور وكتابات وإبداعات المعتقلين السابقين. أظن أن جل المشاريع الخاصة بتحويل المعتقلات السابقة الى أماكن لحفظ الذاكرة والتنشيط الثقافي والاجتماعي تتضمن جانبا «متحفيا» إن صح القول. إنها طريقة تساهم في الحفاظ على الذاكرة والمساعدة على تحرير المتذكر من المحنة التي عاشها في فترة ما من حياته.

يلاحظ المتتبع أن مجموعة من الجمعيات صارت تساهم هي الأخرى في خلق مشاريع تحمل هم حفظ الذاكرة بدل أن يظل هذا الأمر مقتصرا على المركز. ما هو تعليقكم على هذا الأمر؟

أعتقد أن الأمر هنا يتعلق بظاهرة صحية جدا، فالمبتغى هو أن يتحرر المرء من رهبة القمع ورهبة الاعتقال وما شابها من تعسفات وقعت في مرحلة معينة وأدت إلى نوع من شلل وتكلس الذاكرة. فالغرض بالضبط هو أن تتحرر الطاقات الإبداعية وأن يقع تجاوز لحظة الصدمة.

أليس هناك تخوف من وقوع بعض الانزلاقات أثناء مرحلة تحرير الذاكرة؟

الانزلاقات دائما ممكنة، وأعتقد أن ما يمكن الاصطلاح عليه بعديا ب»انزلاقات» يعد في حد ذاته تعبيرا ورغبة في تجاوز الصدمة، وأعتقد أن الانزلاقات يمكن أن تكون في لحظة معينة أو لأمد قصير، ولكن التيار السليم سيكون غالبا. الجماعة كذلك لها نفسية كما للأفراد. فنلاحظ في بعض الحالات الفردية أن العلاج كيفما كان فهو لا يكفي، وربما كانت الصدمة على المستوى الجماعي أقوى مما نتصور، أو ربما أن حفظ الذاكرة بدوره لا يكفي، وربما وجب القيام بإجراءات مصاحبة أخرى. وعموما يمكن أن تكون هناك ردود أفعال لا ترقى إلى ما هو مطلوب. وربما تظهر نزعات مطالبة بأكثر مما هو مشروع، وهو أمر ممكن أن يحصل وليست هناك أية وسيلة لمنع ذلك، ونحن لا نريد منع ذلك، بل نريد أن يعبر كل واحد كما يشاء ونراهن على قدرة الجماعة نفسها على التعقل وضبط الانزلاقات الممكنة، لأنه إذا لم نفترض أن هناك حكمة عند الناس والجماعات فلا يمكن أن نفعل أي شيء. كما أعتقد أنه لا يجب أن نهول من الانزلاقات الممكنة، لأنها ستكون حتما محدودة، فالجماعة نفسها قادرة على ضبط الأمور وتأمين سلوك معقول ورزين.

في نظرَكم أي دور يمكن للجامعة أن تلعبه في حفظ الذاكرة عبر عقد شراكات مع المجلس الاستشاري لحقوق الإنسان؟

هناك مبادرات كثيرة في هذا الشأن. فنحن مقبلون مثلا على عقد اتفاقية قبل نهاية شهر يناير 2010 بين المجلس وكلية الآداب والعلوم الإنسانية جامعة محمد الخامس أكدال من أجل إطلاق سلك الماستر في التاريخ الراهن، كما أن هناك نداء سنطلقه قريبا لمجموعات البحث المعنية بالتاريخ الراهن على المستوى الوطني. فالجامعة طبعا لها دور أساسي في هذا الموضوع وخاصة الشعب المرتبطة بالتاريخ. الدعوة إذن مفتوحة لجميع الدارسين والباحثين المهتمين من أجل الانخراط في هذا المشروع. ونحن الآن بصدد أخذ الإجراءات الضرورية وهيكلة برنامج سينصب بالكامل على مقاربة موضوع التاريخ والأرشيف. كما أننا نتمنى ونتوقع أن تتجاوب الجامعة بكثافة مع هذا البرنامج.

ما هو تقييمكم القبلي لمشروع جمعية منتدى بني زولي للتنمية والتواصل الخاص بهذه المجلة التي تريد المساهمة في حفظ الذاكرة عبر التوثيق وكذا فكرة إنشاء منتديات للمواطنة وورشات للتدريب على الكتابة الصحفية؟

لم أكن بصراحة أتابع هذا المشروع بدقة، ولكن المعطيات التي توفرت لي تدل على أنه مشروع قوي مادام قد وقع عليه الاختيار في الدفعة الأولى للمشاريع المرتبطة بجبر الأضرار الجماعية التي تقدمت بها الجمعيات أمام المجلس. كما أعتقد أن الاختيار موفق ما دام المشروع يهدف إلى خلق نوادي للمواطنة، وتشجيع الشباب على الكتابة الصحفية وتوثيق الذاكرة. فهذا الأمر مهم وسيعطينا جيلا جديدا من الشباب الذين سيتابعون هذه المواضيع التي تهم تاريخ المغرب وبناء الديمقراطية وترسيخ حقوق الإنسان في المغرب. وأتمنى كل التوفيق لهذا المشروع.

في الأخير، ماذا تعني لكم شخصيا منطقة زاكورة مادامت المجلة موجهة لهذه المنطقة بالأساس؟

بدون مجاملة وبكل صراحة، أنا شخصيا لدي أصول بعيدة صحراوية، وبالتالي فأنا أشعر بالراحة وبنوع من الرجوع إلى الجذور كلما زرت منطقة زاكورة. كما أنه في ذهني ترتبط هذه المنطقة بجنين لمجتمع مدني حقيقي كما أنشده، وأنا أعرف الدور الذي لعبه المجتمع المدني في إنقاذ هذه المنطقة في فترة معينة تميزت بالجفاف والنزوح من زاكورة نحو مدن ومناطق أخر من المملكة. فهذه المدينة، والمناطق الصحراوية على العموم توحي بالصمود والقدرة على تجاوز المحن. وأتمنى أن يحافظ شباب هذه المدينة عل الخصال الموروثة من الأجيال السابقة مع تكييفها مع ما يستوجبه العصر الذي نعيش فيه.

كلمة أخيرة السيد الرئيس ؟

أتمنى لكم كامل التوفيق.